فهرسة جديدة للمخطوطات العربية الموجودة في هولندا

جعفر هادي حسن

لقد صدر في العام الماضي الجزء الأول من الفهرس الجديد للمخطوطات العربية في مكتبة جامعة ليدن وفي غيرها الموجودة في هولندا، وعنوان الفهرس باللغة الأنجليزية هو

Catalogue of Arabic Manuscipts in the library of the University of Leiden and other collections in the Netherlands.

وقد طبع في ليدن في مطبعة بريل. وسيضم الجزء الأكبر من هذا الفهرس المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة جامعة ليدن. والمكتبة المذكورة تضم عدداً ضخماً من المخطوطات العربية تقدر بأربعة آلاف مجلد وتضم هذه المجلدات أضعاف عددها من النصوص فهي مكتبة غنية ومهمة لا تقل أهمية عن المكتبات الأوربية المعروفة. وهي أيضاً المكتبة الوحيدة في هولندا التي ما زالت مستمرة في اقتناء المخطوطات العربية بطريق الشراء من الأشخاص والكتبيين وغيرهم. أما المخطوطات التي توجد في هولندا في غير مكتبة جامعة ليدن والتي يأمل المؤلف أن يضمها فهرسه فهي لا تتجاوز بضع مئات.

ومؤلف هذا الفهرس هو J.J. Witkam مسؤول القسم الشرقي في مكتبة جامعة ليدن وهو رجل معروف في حقل المكتبات وله كتاب وبعض المقالات في هذا الحقل. وسيكون هذا الفهرس الفهرس الرابع للمخطوطات العربية في هولندا، فقد ظهرت قبله ثلاثة فهارس. اثنان منها في النصف الثاني من القرن الميلادي الماضي وبداية القرن الحالي وقد رتب هذان الفهرسان حسب المضوعات. أما الفهرس الثالث فقد رتب حسب الحروف الهجائية للعناوين بينا رتبت المخطوطات غير المعنونة في فصل مستقل حسب الموضوعات وقد طبع هذا الفهرس طبعتين كانت الأولى عام ١٩٥٧ والثانية في عام ١٩٨٠ م وعنوان هذا الفهرس هو

P. Voorhoeve's Nandlist of Arabic Mamuscripts.

ويعد في الوقت الحاضر المرجع المعتمد عليه للحصول على المخطوطات العربية من هولندا. ومن الطبيعي أن لا يضم هذا الفهرس كل المخطوطات العربية الموجودة في مكتبة جامعة ليدن لأن المكتبة كما ذكرت آنفاً ما زالت مستمرة في اقتناء المخطوطات العربية. ويقدر Witkamأن هذا الفهرس يضم ثلاثة أرباع المخطوطات العربية الموجودة في المكتبة المذكورة.

وفهرس Voorhoeve سهل الاستعمال وغير معقد وهو بهذا يختلف عن الفهرسين اللذين سبقاه لأنهما يتبعان طريقة معقدة في الترقيم، ولذلك يفضل الناس استعماله. وسيبقى مرجعاً لهذه المخطوطات إلى أن يحل محله الفهرس الجديد الذي نحن بصدد الحديث عنه. ويقول Witkam في المقدمة بأن هناك حاجة ملحة لتأليف فهرسة جديدة للمخطوطات العربية تختلف عن الطريقة التقليدية المتعارف عليها بحيث يكون بالامكان من خلال هذه الفهرسة الجديدة تطوير بعض العلوم التي لها علاقة بالمخطوط العربي والتي ما زالت بحاجة كبيرة إلى تطوير كدراسة الـ Arabic Paleography وكذلك دراسة المصطلحات والرموز التي استعملت في المخطوط العربي ودراسة تأثير البيئات غير الاسلامية كالبيئة الصينية مثلاً على صناعة الكتاب العربي إلى غير ذلك.

ويقول بأنه يهدف من تأليف هذا الفهرس تزويد الدارسين ببعض الحقائق التي تتعلق بهذه الحقول من الدراسة بالاضافة إلى

المساهمة في دراسة الببليوغرافيا والتراث الاسلاميين.

وسوف تظهر أجزاء الفهرس تباعاً وسيصحب كل جزء قائمة منفصلة تضم عناوين المخطوطات وأسماء مؤلفيها وكذلك قائمة بالمخطوطات غير المعنونة. وبعد أن يتم الفهرس بكل أجزائه سيلحق به ملحق عام مستقل يضم أسماء المؤلفين وعناوين المخطوطات وأرقامها وأسماء المكتبات الأخرى التي تضم مخطوطات الفهرس إلى غير ذلك. وسيبدأ المؤلف بوصف المخطوطات التي اقتنتها مكتبة جامعة ليدن بعد صدور فهرس Voorhoeve. والترتيب الذي يتبعه المؤلف في سرد هذه المخطوطات ليس الترتيب الألفبائي للعنوان أو الموضوع وإنما هو يتبع الترقيم التسلسلي لهذه المخطوطات في المكتبة والمسبوق بالحرفين .or اللذين هما اختصار لكلمة Oriental.

وقد بدأ المؤلف بفهرسة المخطوطات التي اقتنيت حديثاً من قبل المكتبة وقد اختار المؤلف للجزء الأول من فهرسه من بين المخطوطات الحديثة التي اقتنتها مكتبة جامعة ليدن مجموعة رينيه باسيه. وهذه المجموعة تضم مخطوطات أغلبها يتعلق بشمال أفريقيا وقد جمع رينيه هذه المخطوطات عندما كان مقيماً في الجزائر من عام ١٨٨٠ م إلى عام ١٩٢٤ م. وقد احتوى الجزء الأول على القسم الأكبر من هذه المخطوطات.

أما الطريقة التي اتبعها المؤلف في فهرسه فهو يوضحها في المقدمة. فهو يقول بأن الفهرس سيضم شرحاً كافياً ووافياً عن كل مخطوط، وهذا الشرح يعتمد على ثلاثة عناصر وهي:

أولاً: **التشخيص**: أي تشخيص المخطوط ويعني هذا ذكر العنوان وذكر اسم المؤلف إذا كانا موجودين ثم ذكر مصادر التعريف بالمؤلف وإذا كانت هناك ضرورة لذكر الأدلة لهذا التشخيص فإنها تذكر.

ثانياً: **الوصف المادي**: ويندرج تحت هذا ذكر المادة التي كتب عليها المخطوط كالورق والرق وكذلك عدد الصفحات وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة وطريقة ترقيم الصفحات والمادة المستعملة في كتابة المخطوط وذكر ناسخ أو نساخ المخطوط إن كان ذلك مذكوراً وكذلك عمر المخطوط ومصدر الحصول عليه وإذا وجد من الضروري أو النافع ـ كما يقول المؤلف ـ وصف ملاحظات مالك المخطوط أو الملاحظات الجانبية فإنها توصف. بالإضافة إلى تعيين نوع الخط.

ثالثاً: **وصف محتوى المخطوط**: ويتضمن ذلك إيراد الأدلة من خلال المضمون على مؤلف المخطوط وعنوانه. أما بالنسبة إلى المخطوط النادر أو ذي القراءات المختلفة فإنه يحظى بدراسة تفصيلية. أما المخطوط الكثير النسخ أو الحديث فسيحال القارىء إلى الفهارس الأقدم التي ورد فيها وصفه. وسيصحب كل جزء من هذا الفهرس مجموعة من نماذج المخطوطات المؤرخة التي ذكرت في ذلك الجزء من الفهرس. وسوف تكتب التفصيلات التالية عن كل نموذج: عنوان المخطوط واسم مؤلفه، تاريخ النسخ وعدد النسخ ومصدر اقتناء المخطوط إذا كان ذلك معروفاً. وسوف تكون هذه النماذج غير مربوطة بعضها البعض من أجل أن يتمكن الباحث من ترتيبها بالطريقة التي تناسبه من حيث تاريخ الخط أو نوعيته ومن حيث تاريخ النسخ أو مكانه ومن حيث حجم المخطوط أو موضوعه إلى غير ذلك حسب الغرض من دراستها.

وفي الواقع فإن هذه النماذج سوف تكون مفيدة جداً في دراسة الـ Arabic Paleography وهو حقل لم يحظ حتى الآن بالدراسة الكافية وليست هناك إلاّ مؤلفات قليلة تطرقت لهذا الموضوع[1].

أما بالنسبة إلى ترقيم صفحات المخطوط فيقول المؤلف إن الترقيم المستعمل عادة في المخطوطات العربية هو الترقيم بالكلمات أي كتابة الكلمة من الصفحة اللاحقة في ذيل الصفحة التي قبلها. يضاف إلى ذلك بأن المخطوطات كانت قد رقمت صفحاتها من قبل مسؤولي القسم الشرقي في المكتبة الذين تعاقبوا على رئاسته. وإذا تبين أن ترقيم المخطوط مضطرب ـ كما يقول المعد ـ أو ليس هناك ترقيم على الاطلاق فإن ترقيماً جديداً سوف يستعمل في هذه الفهرسة.

ويقول المعد بأنه عندما يتحدث عن المخطوط فإنه سيذكر

فيما إذا كان المخطوط قد طبع وفيما إذا كان المطبوع يتفق مع النسخة المخطوطة أم لا. أما إذا كان هناك اختلاف فإنه سوف يذكر طبيعة ذلك الاختلاف. بالإضافة إلى أنه يتعرض إلى أماكن وجود النسخ الأخرى للمخطوط إذا وجدت وسوف يشير أيضاً فيما إذا كان هناك شك حول مؤلف المخطوط. وكذلك سوف يذكر الكتب والمقالات المهمة التي تحدثت عن ذلك المخطوط.

لاشك أن الفهرس عند إتمامه سوف يقدم خدمة كبيرة جداً للباحثين خاصة وأنه سيحتوي على الكثير من المخطوطات التي لم تفهرس من قبل وإن من هذه المخطوطات نسخاً لم يطلع عليها محققو بعض الكتب التي طبعت وظهرت في الأسواق. والجزء الأول من هذا الفهرس على صغر حجمه ضم شيئاً من هذه النسخ. وكمثال على ذلك كتاب قصص الأنبياء المنسوب إلى الكسائي الذي عاش في القرن الخامس الهجري. وهذا الكتاب كان قد طبعه أيسنبرج عام ١٩٢٣م ولكن الفهرس الجديد يذكر نسخة مخطوطة من الكتاب لم يعرفها أيسنبرج. وهي مخطوطة تختلف عن الكتاب المطبوع في أنها أكبر حجماً منه. وهناك أمثلة أخرى شبيهة بذلك احتوى عليها الجزء الأول من هذا الفهرس. ومعنى هذا أنه يجب أن يعاد النظر في بعض الكتب التي حققت والتي لم يكن محققوها قد اطلعوا على النسخ التي يذكرها هذا الفهرس. وسيكون الفهرس أيضاً وسيلة قيمة لأولئك المهتمين بتأريخ الكتابة العربية وتطورها من خلال النماذج التي سيزود المؤلف بها الباحثين. وهناك ظواهر لغوية في هذا الفهرس جديرة بالدراسة والبحث. واحدى هذه الظواهر هي المفردات المستعملة في بعض هذه المخطوطات. وقد لفتت انتباهي الأمثلة التالية:

الإفراغ (= الفراغ)، العسر (= العصر)، المذنوب (= المذنب)، الراج (= الراجي)، الرجول (= الرجل)، تمليكة (= تملك)، يتشكره (= يشكره)، ماسمك (= ما اسمك) إلى آخره. وهناك ظواهر أخرى عدا ما ذكرته آنفاً كاعطاء معان جديدة لبعض الكلمات أو اشتقاقات جديدة غير معهودة في اللغة العربية الفصحى أو تركيب للجملة غير معروف سابقاً إلى غير ذلك. وإذا ما كانت هناك بعض الملاحظات على هذا الفهرس فهي ليست كثيرة منها طول الوقت الذي سوف يستغرقه إكماله فقد ظهر الجزء الأول الذي ضم ٥٦ مخطوطاً عام ١٩٨٣ ولم يظهر الجزء الثاني حتى الآن. والملاحظة الأخرى هي أن النماذج المنفصلة من المخطوطات التي وعد بها المؤلف قراءه، والتي قال عنها بأنها ستظهر مع كل جزء من الفهرس، لم تظهر مع الجزء الأول حتى الآن.

هامش

(١) من هذه المؤلفات كتاب Georges Vajda المعنون Album de Paleographie Arabe وكتاب A. Grohmann المعنون Arabische Palaegraphie وكتاب Witkam المعنون Seven Specimens of Arabic Manuscripts وكتاب الدكتور صلاح الدين المنجد المعنون «الكتاب العربي المخطوط إلى القرن العاشر الهجري».